

على أثر.. نفيسه :

هل أقامك الفكر بين العجز والتعب!...، لأنها:

تصفو الحياة لغافل أو جاهل
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
وما مضى منها وما يتوقع
ويسومها طلب المحال فتطمع
أو أنك عرفت أن:

أفاضل الناس أغراض لدى الزمن
فتيقنت بأن:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
هذا مع أنه - كما تعلم -:

لا يُدرك المجد إلا سيّد فطن^(١)
إذ..

لولا المشقة ساد الناس كلهم
أو خوفاً من :

ترديدن^(٢) إدراك المعالي رخيصة
أم ترى.. أن/

لا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله
واقتنعت بما آلت إليه،.. بعدما:

(١) قال بعض البلغاء: (أحسن المكارم: عفو المقتدر، وجود المقتدر).

(٢) مخاطباً "مهجته".

لبست صروف الدهر أحشن ملبس
ثم...
فعرّفتني ناباً ومزقني ظفراً

أعطى الزمان فما قبلت عطاءه
لأنك ترى:
وأراد لي.. فأردت أن أتخيرا

من كان فوق محل الشمس موضعه
هكذا..
فليس يرفعه شيء ولا يضع

وإذا كانت النفوس كباراً
ف:
تعبت في مرادها الأجسام

... ..
وبهذا:
بلغت من العلياً كل مكان

كل ما لم يكن من الصعب في
لأن:
الأنفـس سهل فيها إذا هو كانا

ما الخوف إلا ما تخوفه الفتى
و.. بدون ذلك، - تعزيةً -..
وما الأمان إلا ما رآه أمانا

ومن تفكّر في الدنيا ومهجته
أو قد يكون:
أقامه الفكر بين العجز والتعب

... ..
فهل بقي شيء ..؟ ، نعم، هذا الاعتراف "الأخير"^(١):

^(١) .. وحقّ للمتلقّي .. لهذا الاعتراف .. - الآتي بعد فوات أوانه - أن يستشهد دون..
أن يعينك- بقول أحمد شوقي:
-...

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي: المجد للسيف،.. ليس المجد للقلم
،....

هذا شاعرنا "العربي" الذي / خطا فوهة الفلاة بل دليل، وسار بين الهجير
بلا لثام، بعزم تسهل بقوته المصاعب^(١):

قد هون الصبر عندي كل نازلةٍ ولين العزم حدّ المركب الخشن
ف.. لا عجب أن أعجب به، وأمضي إثر نبراس نظمه بشغفٍ..
- رياضُ الشعر.. لا تعطيك زهراً إذا لم تُسق من نهر الشعور!! -
..قد لا أجد كل ما يُخالجني.. حينما أترنم بإحدى قصائده^(٢).

وبزعمي.. أصرّح بـ: لم يبق لي مجال للتعبير عن ذاتي إلا وجهر به
عني^(٣).. حتى كدتُ أن أقول - والأسف مقدّم - أنه لم يسبقني إلى هذا
(العالم)^(٤) بذاته، بل وبشعره^(٥)،... ف.. "أ:

وما ضفنا بمقدمك المفدى ولكن.. جئت في الزمن.. الأخير..
^(١) وكذا قوله:

أطاعن خيلاً.. من فوارمها الدهر وحيداً، وما قولي كذا ومعني الصبر
^(٢) و..أكاد - حينها - أن أستشهد بقول ابن عبد الله عن شعر "الأعشى":
(يخيل لك إذا أنشدته.. أن آخر يُنشد معك!)

^(٣) قال الشاعر علي الجارم:
تقرأ للمتني فتحسُّ أنه يُخاطب كل نفس بأسرارها، وكثيراً ما حدثنا عن خلجات كُنّا
نُحس بها ونسمع في النفس دبيبها.

^(٤) - ف..
يا صاحب القبر.. السلام على من حال دون لقاءه القبر
-...

يا شاعراً هزّ الفؤاد بنبضه فتحركت في داخلي الأوتار"
فليعذرني القارئ العزيز على هذا الإطراء...

بحق من اختاره شعره بكيونتي لتكون هذه "النبذة" حاملة عن مخيلتي^(١)
خواطر استنتجتها ونسجتها من سيرته..

ولتعكس - بالمضمون - لمتصفحها / آخر أحلام المتنبّي.. (الإمارة):

يقولون ما أنت في كل بلدة وما تبغني؟ .. ما أبغي جلّ أن يُسمّى
الذي سعى لعل وعسى بتحقيقه يصل إلى (المجد) الذي تغرّب وقطع
الفيافي والقفار ليناله، فكّد خلف الدنيا حتى قتلته^(٢).. دون بلوغ مأربه.
... ولسان حاله.. يتمثّل بالحكمة التي أنشأها^(٣):

...

كما قال أبو زيد المنذر بن حرملة.. في الوليد بن عقبة وقد أسلم على يديه -خزانة
الأدب، ص ٢/١٥٥ -

^(٥) قال امرؤ القيس:

أجارتننا: إننا غريان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

^(١) قال أحمد شوقي - يرثي نده (حافظ إبراهيم):

رُتّب الشجاعة، في الرجال جلال وأجله من شجاعة الآراء

^(٢) -.. روى قتادة قال: لقيني عمران بن حطان فقال يا أعمى احفظ عني هذه الأبيات:

حتى متى تُسقى النفوس بكأسها ريب المنون.. وأنت لاه ترتع

أفقد رضىت بأن تُعلل بالني وإلى المنية كل يوم تُدفع

أحلام نوم أم كظل زائل إن اللييب بمثلها لا يُخدع

^(٣) أخذاً المعنى، من التوجيه الكريم: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا سألتم الله الجنة

فاسألوه الفردوس الأعلى) - أي ليكن المؤمن مشرباً دائماً إلى السموم.. والعلى.

...

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمرٍ حقير كطعم الموت في أمرٍ عظيم
فمعدرة إلى الله^(١) أولاً، ثم إلى القارئ الكريم/ إن لم يجد المرمى أنيس،
والمرام الذي أصبو إلى إيصاله نفيس^(٢).

.. وشافعي قول عمر أبو ريشة رحمه الله:

فما نحن أول من بنى وبناؤه لم يكمل
- والله أعلم.. وأحكم، وصلى الله على خاتم رسله.. وسلم -

دمشق

١/٧/١٤١٦ هـ

...

والمشهور قول عمر بن عبد العزيز - حين سئل عن تقشفه وهو الخليفة -:
إن لي نفساً تواقه، تآقت إلى الإمارة، فلما نالتها تآقت إلى الخلافة..، وهي تتوق إلى
الجنة.. فلنعمل لها.

(١) .. الاعتذار من الله: نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ قال عن الذين خالفوا أمره
يوم "أحد" (اللَّهُمَّ: أعتذر إليك مما صنع هؤلاء).. متفق عليه.

وفي الكتاب العظيم قول الحق سبحانه ﴿معدرة إلى ربكم..﴾ سورة الأعراف، آية ١٦٤.
ويأتي بعد.. ذلك، من هنات علها من النقص البشري الذي لا ينفك عن قيده.. سوى من
عصم الله، راجياً أن لا يحول ذلك عن قبول المحمل، قال أمير الشعراء:

رزقت أسمح ما في الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر في الشيم
(٢) قال "لاروشفو كولد":

نحن لا نجد أبداً أناساً عاقلين، إلا أولئك الذين يشاطروننا الرأي!

ولا أعر - بعدها - على من يقول: أتخمتنا بشاعرك.. إذ هو/ شاعر الدنيا، وشاغل أهلها!!

طلائع المراجع

أو/ منها: "شرح ديوان المتنبي" لأبي العلاء المعري، طبعة دار المعارف سنة ١٩٩٢م، "التيبان شرح الديوان" لأبي البقاء العكبري (مطبعة مصطفى البايي الحلبي سنة ١٩٧١م، - انظر: إيضاح ما تقدم ص ١٨ حاشية هامش (١) -، "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب" للشيخ ناصيف اليازجي (طبعة دار نظير عبود سنة ١٩٩٥م)، "ديوان المتنبي" عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت طبعة ١٩٨٦م، "ديوان أبي الطيب المتنبي" لأبي الفتح عثمان بن جني (بغداد ١٩٨٨م)، و"شرح مشكل أبيات المتنبي" (سنة ٤٥٨هـ) لابن سيده، و"الواضح في مشكلات شعر المتنبي" لأبي القاسم الأصفهاني، و"يتمة الدهر في محاسن أهل العصر" (سنة ٤٢٩هـ) للثعالبي، و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" (سنة ٣٦٦هـ) للقاضي الجرجاني، و"الرسالة الموضحة" (سنة ٣٨٨هـ) للحاتمي، و"الكشف عن مساوئ المتنبي" (سنة ٣٨٥هـ) للصاحب بن عباد، و"الإبانة عن سرقات المتنبي" (سنة ٣٥٤هـ) للعميدي، و"الصبح المنبي عن حيثية المتنبي" (سنة ١٠٧٢هـ) للبديعي.

..فضلاً عن آتٍ ك: "المتنبي" محمد محمود شاكر، و"أبو الطيب المتنبي" للمستشرق (بلاشير)، و"المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس"، لمحمد

التونجي، و"مع المتنبي" للدكتور طه حسين، و"نظرة إجمالية في حياة المتنبي" لمعروف الرصافي، و"المتنبي بين ناقديه" لمحمد شعيب، و"فن المتنبي بعد ألف عام" لإبراهيم العريض، و"المتنبي يسترد أباه" لمحمد الملاح.. "ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام" عبد الوهاب عزام، عبد الله الحيدري "أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين"، سهيل عثمان ومنير كنعان "المحصول الفكري للمتنبي"، محمد كمال حلمي "أبو الطيب المتنبي"، زكي المحاسني "المتنبي"، "جواهر المتنبي" لعبد الله عمر خياط، نورية الشملان "المتنبي الإنسان والشاعر"، عبد العزيز عبد المحسن التويجري "المتنبي" .. وغيرها..

